(الزكاة حفظ ونماء)

الحمدُ للهِ الَّذِي جعلَ الزكاةَ علاجا للنفوس من الشح وطهارة للأموال ، ونشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ القَائِلُ : (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ونشهدُ أنَّ سيدَنَا محمَّداً عبدُ اللهِ ورسولُهُ حيثُ يقول : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ومَلَكان ينزلان فيقول أحدهما : أللهم أعط منفقاً خلفا ، ويقول آخر : اللهم أعط ممسكاً تلفا) اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على سيدِنَا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

أمَّا بعدُ : ففى مثل هذا الشهر من السنة الثانية من الهجرة فرضت الزكاة فيقول الله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

عباد الله المؤمنين : فإن المال لايُطلب لذاته في هذه الدنيا ، وإنما يُطلب عادة لما يحققه من مصالح ومن منافع إنه وسيلة فقط...والوسيلة تحمد أو تعاب بمقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة أوسيئة ، فالمال كالسلاح والسلاح في يد المجرم يقتل به الآخرين ، ولكنه في يد الجندي يدافع به عن وطنه أو يحرس به الأمن في بلده فليس السلاح محموداً أومعيباً لذاته والمال كذلك ، فمالك الذى بيدك تستطيع أن تنفقه فى الخير كما تستطيع أن تنفقه فى الشر ، وسييسر الله لك الإختيارين فأنت مخير فى فعلك ولست مجبرا قال تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ * وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ) من هنا فرض الله الزكاة لتكون علاجا للأغنياء من الشح فأنا وأنت أشحاء لأننا خلقنا من تراب...وفى التراب قبض وإمساك قال تعالى : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ويقول صلى الله عليه وسلم : (ثَلاثُ مُهْلِكَاتٍ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ) ولقد أمرالله الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بالزكاة فقال تعالى : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) وقال صلى الله عليه وسلم : (حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستدفعوا أنواع البلايا بالدعاء) وقال صلى الله عليه وسلم : (ما نقص مال من صدقة ، وما تواضع عبد إلا رفعه الله تعالى) واعلموا ياعباد الله أن الكيس من الناس من أطاع الله في سره وعلانيته ، وقنع من الدنيا بالقوت الحلال حتى آخر عمره ولم يلتفت إلى جمع المال وفقط ، فكم من بانٍ للقصور وجامع للمال يتمنى بلوغ المراد فجاءه الموت بغتة ولم يحقق أمنيته...فإن لم يتهيأ لك جمع المال فاشكرالله تعالى أن خفف عنك وتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى : (مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ ، وَإِنِّي لأَغْضَبُ لأَوْلِيَائِي كَمَا يَغْضَبُ اللَّيْثُ الْحَرِدُ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا زَالَ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ يَتَقَرَّبُ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ...كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَيَدًا وَمُؤَيِّدًا إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلا بُدَّ لَهُ مِنْهُ ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ يَسْأَلُنِي الْبَابَ مِنَ الْعِبَادَةِ فَأَكُفُّهُ عَنْهُ حَتَّى لا يَدْخُلُهُ عُجْبٌ فَيُفْسِدَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ مِنَ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الْغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الْفَقْرُ وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الصِّحَّةُ وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا السَّقَمُ وَلَوْ أَصْحَحْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ ، إِنِّي أُدَبِّرُ أَمْرَ عِبَادِي بِعِلْمِي بِقُلُوبِهِمْ وَإِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ) فالله يدعوكم كل يوم إلى فعل الخيرات وعمل البر والإحسان...فما أتعس من دُعي إلى الإحسان فتأخر عن ركب المحسنين ، وما أتعس من أمر بإخراج الزكاة كما جاء في محكم القرآن فنسيها

وكان من الغافلين قال تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) واعلموا ياعباد الله بأن الله قد توعد مانعي الزكاة بأصناف كثيرة من العذاب يقول تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) قال بعض العلماء : إنما سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى ، وقال صلى الله عليه وسلم : (لا صلاة لمانع الزكاة قالها ثلاثا...) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (ما من عبد يكون له مال فيمنعه من حقه ويضعه في غيرحقه إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع منتن الريح لا يمر بأحد إلا استعاذ منه حتى يدنو من صاحبه فيقول له : أعوذ بالله منك ، فيقول : لِمَ تستعذ مني وأنا مالك الذي كنت تبخل بي في الدنيا ، فيطوّق في عنقه حتى يدخله الله جهنم) وتصديق ذلك من كتاب الله تعالى قوله تعالى : (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَللّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

وقيل : من منع خمساً منع الله عنه خمسا : من منع الزكاة منع الله عنه حفظ المال ، ومن منع الصدقة منع الله عنه العافية ، ومن منع العُشر منع الله عنه بركة أرضه ، ومن منع الدعاء منع الله عنه الإجابه ، ومن تهاون بالصلاة منع الله عنه كلمة التوحيد عند الموت وهي : لا إله إلا الله .

فاتقوا الله أيها المؤمنون وحاسبوا أنفسكم قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار قال تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ويقول : (وَأَنْفِقُوا مِمَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) وتذكروا يوم الرجوع إلى الله قال تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) واعلموا أنكم أيها الأغنياء وكلاء لله في إعطاء عباده الفقراء فلا تبخلوا بمال الله الذي آتاكم ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فيا مانع الزكاة...هل أنت مؤمن حقيقة بقول الله تعالى : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) هل أنت مصدق بقول ربك في الحديث القدسي : (يا عبدي أنفق أُنفِق عليك) تالله إنها لخيبةٌ قوية لمن يجمعون الأموال لغيرهم يتمتعون بها...ومَنْ جمعوها يتعذبون في النار بسببها ، سبحان الله ! يطيعون الشيطان ويُغضبون الرحمن ؟ قال تعالى :

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

فحاسبوا أنفسكم عليها قبل أن يأتي يَوْمٌ لا يَنفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلا بَنُونَ إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، يوم تنادي جهنم : أين تاركوا الصلاة ؟ أين مانعوا الزكاة ؟ أين من أعرض عن الحق حتى أتاه اليقين ؟ قبل أن يأتي اليوم الذى يطالب الفقيرُ الغنيَّ بحقه أمام الله تعالى كما جاء فى الحديث : (ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون : ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم ، فيقول الله عزوجل : وعزتي وجلالي لأدنينكم ولأبعدنهم) فاستثمروا أموالكم فى هذه الدنيا الفانية فإن الله يحاسب على الحسنة بعشرة أمثالها ، ثم يضاعف العشرة أمثال لمن كان محبا لإخراجها قال تعالى : (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) أخرجوا المال لله واحذروا المن والإيذاء بالآخرين قال تعالى : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَيُتْبِعُونَ مَاأَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَأَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ) واعلموا أن الزكاة تقع فى يد الله أن الله قبل أن تقع فى يد الفقير قال تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)